مكتبة دير السيدة العذراء
السريان

القمص تادرس السرياني

الكُنز المُخفى

تقديم و مراجعة نيافة الحبر الجليل
الأنبا متاؤس

إعداد
ابناؤك رهبان الدير

أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفىً
فِي حَقْل، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ
مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذلِكَ الْحَقْلَ.
(متى ١٣ : ٤٤)

مكتبة دير السريان العامر

تقدم

القمص تادرس السرياني

الكنز المُخفى

إعداد

أبناؤك رهبان

الدير

مراجعة وتقديم

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

أسم الكتاب : القمص تادرس السريانى الكنز المخفى
إعـــداد : ابناؤك رهبان الدير
الطـــبعة : الطبعة الأولى ٢٠١٥ م
المطـــبعة : امبريال بعابدين ت : ٢٣٩١٤٦٧٠ ف : ٢٣٩٠٢٩٨٨
بريد الإلكترونى : imperial.press@yahoo.com
رقم الإيداع : ٥١٧١ / ٢٠١٥ م

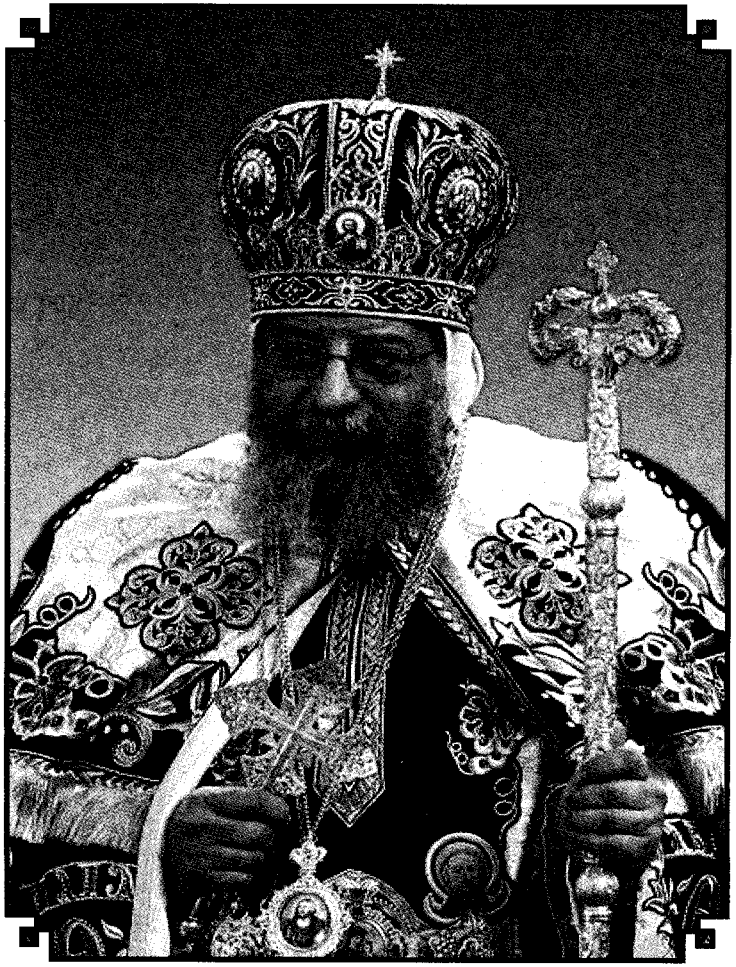

صاحب الغبطة والقداسة

البابا المعظم الأنبا تواضروس الثانى

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٨)

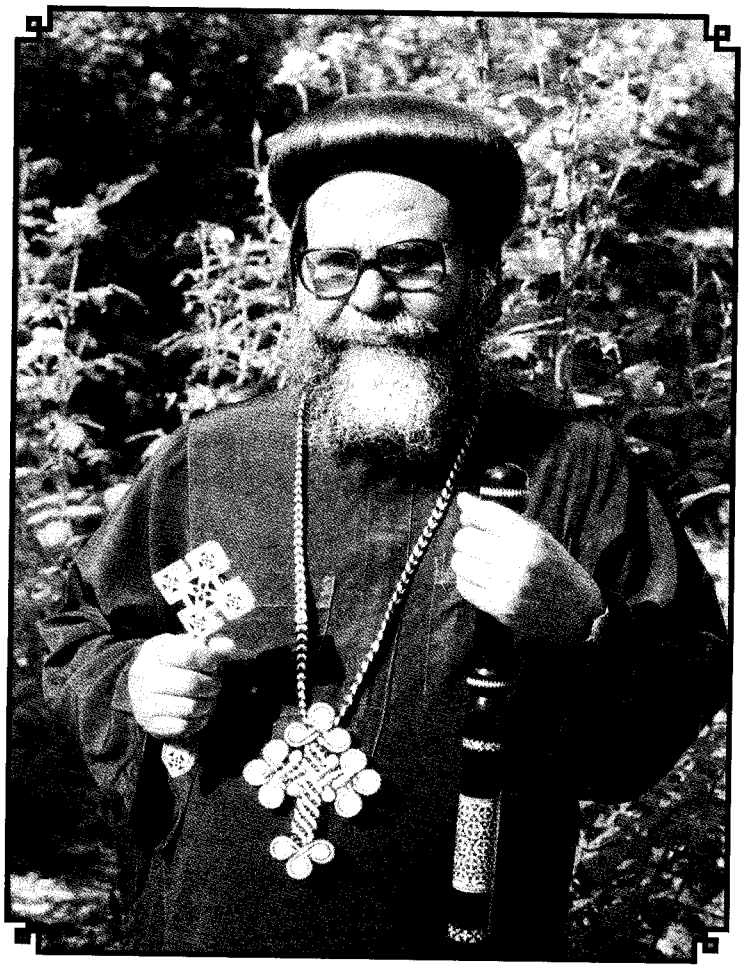

صاحب النيافة الحبر الجليل

الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء السريان

باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

مقدمة

مرت بسرعة سنة كاملة على نياحة الأب المحبوب الراهب القمص تادرس السرياني أمين ووكيل دير السيدة العذراء السريان بالدير في البرية وفي العزباوية مقر الدير بالقاهرة.

عاش بيننا كالنسمة الهادئة، كان يتمثل بالسيد الذي قال عنه الإنجيل: " لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته " كان له تعب كثير في الدير، تقلد أمانة الدير عدة سنوات فكان على قدر المسئولية، وتقلد وكالة الدير بالعزباوية فجددها ورممها وعمل بها كنيسة صغيرة لصلوات الرهبان المقيمين والمترددين.

أيضاً كان راهب قلاية من الطراز الأول، يصلي ويقرأ ويكتب، وقد نشر عدة كتب هامة.

كان أب اعتراف مريح لبعض الرهبان، تحتمل المرض عدة سنوات. ولما أراد الله أن يريحه قال له: " كفاك تعباً يا حبيبي " وانطلقت روحه لتعيد مع السمائيين وأرواح القديسين ولتستريح من

أتعاب وجهادات العالم حسب الوعد الإلهي: " هناك يستريح المتعبون الأسرى (أسرى الرجاء) يطمئنون جميعاً.

هنيئاً لك أفراح السماء. الذي أعانك يعيننا.آمين

الله يجعل هذا الكتاب سبب بركة لكل من يقرأه بشفاعة أمنا العذراء مريم وصلوات أبينا الطوباوي البابا المكرم الأنبا تواضروس الثاني.

ولإلهنا كل مجد في كنيسته وفي قديسيه آمين

الأنبا متاؤس

أسقف دير السريان العامر

١ مارس ٢٠١٥م

الراهب القمص تادرس السرياني في سطور:

- الاسم بالميلاد: جورج مكسي عبد المسيح يوسف.
- تاريخ ومكان الميلاد: ٢٩ / ٣ / ١٩٤٤م. قسم البستان – محافظة الاسماعيلية.
- المؤهل العلمي: حاصل على دبلوم المدارس التجارية عام ١٩٦٢م.
- الدراسة اللاهوتية: القسم المسائي بالكلية الإكليريكية (١٩٧٠ – ١٩٧٣م).
- العمل قبل الرهبنة: محاسب.
- أب الاعتراف قبل الرهبنة: القمص ميخائيل إبراهيم بكنيسة مار مرقس بشبرا.
- الخدمة قبل الرهبنة: خدمة شباب ومدارس الأحد بكنيسة مار جرجس خماروية بشبرا مصر.
- تاريخ وصوله الدير: ٢ / ٦ / ١٩٧٣م (٢٥ بشنس).
- تاريخ الرهبنة: ٢ / ٩ / ١٩٧٣م (٢٧ مسرى).
- تاريخ القسيسية: عيد الصليب ٢٨ / ٩ / ١٩٧٥م.

✝ تاريخ القمصية: ٣٠/٧/١٩٧٨م.

✝ أب اعترافه بالدير: نيافة الأنبا صرابامون أسقف ورئيس دير الأنبا بيشوي، حفظه الله لنا.

✝ عمله بالدير:

١ - مجمع الدير (قصر الضيافة) لإعداد الطعام ١٩٧٣م.

٢ - مسئول عن بيت الخلوة ١٩٧٤م.

٣ - نظافة حدائق الدير ١٩٧٥م.

٤ - أمين الدير (الربيتة) منذ ١٩٧٧م حتى ١٩٨٦م.

٥ - وكيل الدير بالعزباوية منذ ١٩٨٦م حتى ١٩٩٣م.

✝ كتاباته: أعدَّ كتب " متابعة القراءات اليومية " بالقطمارس السنوي والصوم الكبير والخماسين المقدسة وتضم السنكسار وأعد كتب ميامر مار إسحاق السرياني والشيخ الروحاني.

✝ نياحته: تنيح في الرب صباح يوم السبت الموافق ١/٣/٢٠١٤م عن عمر يناهز ٧٠ عاماً قضى منها ما

يقرب من ٤١ عاماً في الرهبنة. وفي تمام الثانية من ظهر ذلك اليوم قام نيافة الأنبا متاؤس رئيس الدير بالصلاة على جثمانه الطاهر واشترك معه في الصلاة نيافة الحبر الجليل الأنبا صرابامون أسقف ورئيس دير الأنبا بيشوي والأنبا ثاؤفيلس أسقف إيبارشية البحر الأحمر والأنبا إيبفانيوس أسقف ورئيس دير أنبا مقار ومجمع رهبان الدير وبعض رهبان من أديرة أخرى، ثم دُفن بطافوس الدير.

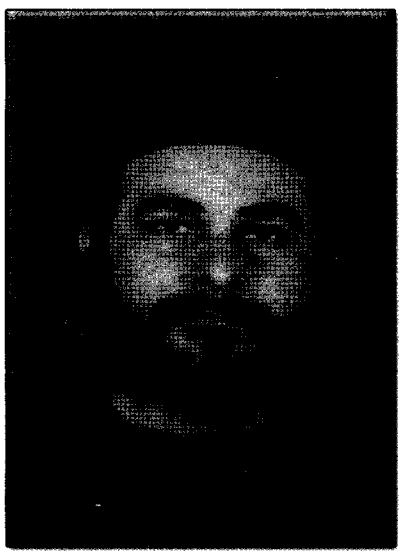

بالحقيقة كان أبونا تادرس كنزاً مُخفى:

حكى أحد آباء الدير عن هذا الكنز المُخفى وقال:

لقد عاشرت أبونا تادرس عن قرب أكثر من ٣١ سنة ويُشرفني أنني تتلمذت على يديه، وتشربت منه مبادئ الحياة الرهبانية بصورة آبائية رائعة ممتزجة بالواقع العملي والحياة العملية فهو حقاً كما قال الرب: " يُشْبِهُ رَجُلاً رَبَّ بَيْتٍ يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُدُداً وَعُتَقَاءَ " (متى ١٣ : ٥٢).

كان أبونا تادرس بالحقيقة " كنزاً مخفياً " و " جنة مُغلقة " فعلى الرغم من أن بابه كان مفتوحاً للجميع إلا أن حقيقة حياته الرهبانية لم يكن يدركها إلا القريبون منه جداً وبصورة ناقصة غير كاملة فهو بهذا أعطانا تعليماً رهبانياً رائعاً كيف يخفي الراهب كنوزه في سرية كاملة حتى يحميها من اللصوص المتربصين بنا من كل ناحية، فكانت بساطته الخارجية في الكلمات واللقاءات ستاراً يخفي من ورائه كنزاً عظيماً جداً، بحسب قول معلمنا بولس الرسول: " وَلَكِنْ لَنَا هَذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلَّهِ لاَ مِنَّا " (٢كو ٤ : ٧).

فكل ما يراه الآخرون في أبينا تادرس هو ذلك الإناء الخزفي الخارجي، أما الكنز الداخلي فقد أخفاه جداً بكل حكمة ومهارة واقتدار تماماً كما كان يفعل القديس مكاريوس والقديس شيشوي وآخرون.

لقد تتلمذ أبونا تادرس في شبابه على الأب الطوباوي القديس أبينا القمص ميخائيل إبراهيم وتشرَّب منه روح البساطة والوداعة والتواضع والتفاني في خدمة الآخرين، ودخل الدير في يوم ٢ / ٦ / ١٩٧٣م الموافق (٢٥ بشنس) وترهبن على يد أنبا ثاؤفيلس في يوم ٢ / ٩ / ١٩٧٣م الموافق (٢٧ مسرى)، ومن البداية كان يميل إلى الوحدة والانفراد والهدوء.

وعلى الرغم من ذلك كلَّفه الأنبا ثاؤفيلس بأمانة الدير سنوات طويلة، فكان – خارجياً – يخدم الرهبان والدير بكل أمانة واجتهاد وإخلاص ومحبة باذلة فائقة، ولكنه – داخلياً – كان يجاهد في حياة الهدوء والسكون وينسخ المخطوطات الرهبانية والنسكية، وقد أعطاه الله – بسبب أمانته وإخلاصه واشتياقاته الروحية – أعطاه نعمة في أعين الجميع حتى أحبه الكل، وكان أنبا ثاؤفيلس يثق فيه بصورة

مُطلقة، وفي ذات الوقت آزرته نعمة الله في حياة السكون والهدوء فجاهد في بناء قلايته المنفردة رغم ضعف الإمكانيات وكان يقول:

" إن الأعمال والمسئوليات مصيرها تنتهي، فينبغي أن نعد أنفسنا لما هو أفضل في حياة السكون والهدوء التي هي جوهر حياتنا الرهبانية "

دُعي أبانا تادرس للخدمة وألحوا عليه جداً جداً، ولكنه اعتذر بكل جدية وقوة، وعندما قالوا له صراحة: تعال للخدمة حتى نرسمك أسقفاً كان يجيب قائلاً: لا أريد سوى أن أظل راهباً حتى نهاية حياتي. (وهو نفس منهج أبينا المتنيح القمص بيمن السرياني – صديقه الروحي – الذي تتلمذ أيضاً على يد أبينا القمص ميخائيل إبراهيم).

وكان يقول: " لا شيء يُتلف الراهب ويُضيعه سوى ضياع الهدف الذي خرج من أجله ".

وكان هذا صدى لكلمات القديس أرسانيوس الخالدة: " أرساني أرساني تامل فيما خرجت أجله ".

وكان يردد كثيراً كلمات القديس يحنس القصير: " اعلم أنك راهب ولا ينبغي لك أن ترتبط بشيء ما ".

وكلمات البستان: " لا تكن ذات قرون بل كن مدوراً حتى يمكنك أن تتدحرج نحو كل أحد ".

بمعنى المرونة في التعامل، ومراعاة ظروف كل أحد، والتماس العذر للآخرين.

وفي أثر المرض المفاجئ للأنبا ثاؤفيلس استدعاه البابا شنوده الثالث – نيح الله روحه – للنزول فوراً إلى العزباوية (مقر الدير) لإدارة أمور الدير، وكانت فترة صعبة جداً مملوءة بالمتاعب والضيقات والآلام، وكانت بداية لدخوله في أمراض القلب بسبب الضغوط الشديدة. وقد شاركته في جزء من هذه الفترة، وعاينت بنفسي كم احتمل من الآلام والأتعاب بصبر قائلاً: " مصيرها تنتهي "!

وعندما تسلم سيدنا الأنبا متاؤس رئاسة الدير – حفظه الله لنا – في ٦ / ٦ / ١٩٩٣م حضر إلى العزباوية في ٩ / ٦ / ١٩٩٣م وفي صباح الخميس ١٠ / ٦ / ١٩٩٣م (تذكار نياحة القديس الأنبا أبرآم أسقف الفيوم والجيزة الأسبق) استيقظ أبونا تادرس مبكراً جداً وجهز كل أموره للعودة إلى الدير وهو يردد مرات كثيرة كلمات المزمور " الفخ انكسر ونحن نجونا ".

ثم عاد في نفس اليوم إلى قلايته المحبوبة وكأنه يعانقها في فرح بعد غياب صعب وخارج عن إرادته حوالي ٧ سنوات.

عندما بدأت أمراض القلب تتواتر عليه (بسبب ضغوط العزباوية) ألححت عليه كثيراً – وآخرون – للنزول حتى يأخذ العلاج المناسب قبل أن تتطور الحالة وندخل في مضاعفات، لكنه رفض تماماً مغادرة القلاية حتى يُعوِّض السبع سنوات العجاف التي قضاها في العزباوية .. حتى تفاقمت الأمور ونزل رغماً عنه ودخل في مرحلة العمليات والقسطرة وخلافه. وطوال هذه الفترات لم يتخلَّ أبداً عن نسكه الشديد ومنهج حياته المتميز وكل هذا يُذكرني بقول الرب:

" مَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا " (متى ١٦: ٢٥).

إن احتمال الأمراض بصبر ما هو إلا شهادة حقيقية للرب كما عاش آباؤنا الشهداء.

وعندما كنت أسأله السؤال المعروف والمتكرر: " ما هي الرهبنة؟ " أو " ماذا وجدت طوال هذه السنوات كلها في الرهبنة؟ " فكان يجيب: " الهدوء وراحة البال، وألا يُشغل الإنسان نفسه بأي أمر، وأن تكون في حالك ".

إن لم يقل الراهب: " لا يوجد في هذا الكون كله سوى الله وأنا فقط، فلن يجد نياحاً ".

" جدد حياتك كل يوم، ولا تُضيع لحظة من رهبنتك ".

" لا تهتم بشيء، ولا تعول هم شيء، ولا تفكر في أي شيء ".

" اجلس في القلاية وهي تعلمك كل شيء ".

لقد عاش أبونا تادرس – رغم الصعوبات والضيقات والأمراض – حياة الغربة الحقيقية والاشتياق الدائم نحو الوطن السماوي، ولسان حاله يقول: " قوموا ننطلق من ههنا " وباع كل شيء من أجل أن يقتني اللؤلؤة كثيرة الثمن والكنز المُخفى، واستهان بكل الكرامات والرئاسات عالماً أن رئاستنا نحن هي في العالم الجديد وليس في هذا العالم الفاني الزائل، وأهلك ذاته من أجل الرب ومن أجل الثبات في القلاية حتى يربحها أخيراً في السماء ... حقاً لقد كان سراجاً في البرية ونوراً يُضيء لنا الطريق، وملحاً يُصلح فساد نفوسنا.

وأخيراً سمع الصوت الإلهي القائل:

" نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ " (متى ٢٥: ٢١)

ربنا يُنيح نفسك يا أبانا ويعيننا كي نكمل أيام غربتنا بسلام.

ملخص سريع لما قبل الرهبنة

" قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ " (إر ١: ٥)

لقد ولد الطفل جورج مكسي عبد المسيح يوسف في يوم ٢٩ / ٣ / ١٩٤٤م بقسم البستان محافظة الإسماعيلية، ثم بعد ذلك انتقلت الأسرة وسكنوا في حي شبرا بالقاهرة.

وقد حكى أبونا تادرس بأنه بعد إتمامه الشهادة الإعدادية رفض دخول التوجيهية (النظام الثانوي العام الآن) رغم قرب المدرسة من سكنه، ولكنه دخل مدرسة التجارة بالجيزة، وذلك ليتمكن من الالتحاق بالدير في أقرب وقت ممكن، وإن دلَّ ذلك على شيء فيدل على الرغبة القلبية المبكرة لحياة الرهبنة عند أبينا تادرس.

ثم حصل على دبلوم التجارة عام ١٩٦٢م، وعمل كمحاسب في شركة (شاهر سنترليك) – قطاع عام – حتى دخوله الدير.

بعد ذلك التحق أبونا تادرس بالكلية الإكليريكية – القسم المسائي – عام ١٩٧٠م وبعد تنصيب قداسة البابا شنوده الثالث عام ١٩٧١م ركز نظره على طلاب الإكليريكية ليرسمهم كهنة وبالفعل وزَّع استمارات عليهم ليختار كل واحد منطقة الخدمة والكنيسة التي سيخدم بها. أما أبونا تادرس فكتب في استمارته (راهب بدير أبي مقار) لأنه كان يزور

الدير ويقضي فيه فترات خلوة روحية ولا يعرف غيره، فقد كان فكر الرهبنة مسيطراً عليه حتى أن البابا شنوده حاول معه ليرسمه كاهناً فأعلمه برغبته في الرهبنة فتركه لحريته.

أما عن مجيئه ورهبنته بدير السريان العامر هو تدبير إلهي، فقد وجَّه نظره أحد زملائه الخدام بكنيسة مار جرجس خماروية إلى دير السريان فأتى إلى الدير ونال نعمة في عين رئيس الدير والآباء الرهبان وقُبل هناك والجدير بالذكر هو أن هذا الزميل هو أحد شيوخ الدير المباركين الآن.

أبونا تادرس واختبار يوم الرهبنة:

" وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ " (أف ٤: ٢٤)

لقد حكى أحد الآباء أنه ليلة الرهبنة حاول أنبا ثاؤفيلس أن يختبره كي يعلم مقدار ثباته وحبه للدير فقال له: " يا ابني أنت ما تنفعش هنا، إحنا ديرنا فقير ما عندناش غير ٣ حاجات عدس، وفول في الصيام، ومِش في الفطار، وأنت متربي في القاهرة ومش ها تقدر على كده "

ثم استدعى سيدنا سائقه الخاص قائلاً له: " أنا سأكتب لك تزكية ويروح دير أبو مقار هناك فيه أكل وشرب وعيشة مرتاحة " قاصداً بهذا كله امتحان مدى ثباته.

أما عن أبينا الحبيب فوقف أمام سيدنا والآباء الحاضرين صامتاً ولم يهتز أمام هذا الكلام، لأنه كان يعلم أن الذي دعاه لهذا المكان سيُنجح طريقه كقول إشعياء النبي:

" أنا أَنَا تَكَلَّمْتُ وَدَعَوْتُهُ. أَتَيْتُ بِهِ فَيَنْجَحُ طَرِيقُهُ "

(إش ٤٨ : ١٥)

وعندما رأى سيدنا هذا الهدوء وهذا الصمت عَلِمَ صدق نيته وحبه للدير فأعطاه الشكل الرهباني ورهبَّنه في ٢ / ٩ / ١٩٧٣م. وكما قلنا من قبل أنه كان يحبه ويثق فيه بشهادة الآباء (مجمع الدير) لاستقامته وبساطته واتضاعه.

عمله في الدير:

" حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِي خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ "

(أع ٢٠ : ٣٤)

لقد عمل أبونا تادرس في أكثر من موضع الدير منذ بداية حياته الرهبانية منها: في الزراعة، وبيت الخلوة، ومنحل الدير، بجانب عمل

اليد الذي كان بارعاً فيه وكثير من الآباء تعلموا على يديه استخدام الجلد لعمل الصلبان والمناطق ...، وكان يجيد أيضاً جدل الخوص، وكل ما هو يدوي كالحياكة مثلاً. وكان أبونا لديه عِدَد وأدوات لمختلف الأغراض فكان يبني بيده كما شهد الآباء، ويقوم بأعمال السباكة أو النجارة أيضاً بيده ومن الطريف أنه كان يُحضر العامل بعدما يُنهي الشغل كي يتأكد مما قام هو بعمله، فتجد العامل متعجباً بأداء أبونا لدرجة أن بعضهم قال مداعباً إياه: " أنت تيجي تشتغل معانا يا أبونا تادرس !! ".

لقد حفظ القمص تادرس البستان (كتاب بستان الرهبان) في قلبه، وعلم أن التعب مفيد للراهب خصوصاً المبتدئ، حيث قال البستان **" أحب التعب والمشقة في كل شيء لتخف عنك أوجاعك "** ويُقصَّد بالأوجاع أنواع الشهوات المختلفة.

ليس هذا فحسب بل حتى وبعدما أسند إليه سيدنا أنبا ثاؤفيلس أمانة الدير (عمله كربيتة)، كان أيضاً يعمل بيده، فحكى أحد الآباء الشيوخ قائلاً: " رأيت بعيني أن أبانا تادرس وهو ربيتة يرفع جلابيته، ويربط وسطه بحبل، وينزل في جنينة الدير ويرويها بنفسه، ويحوِّل المياه على الأحواض بيده، حيث أنه لم تكن وقتها قد بدأت

وسائل الري الحديثة، وبين الحين والآخر كان يقف تحت ظل شجرة فاتحاً الأجبية ليصلي مزاميره دون أن يراه أحد لكي يجمع بين العمل والاتصال بالله في آن واحد.

بالحق لقد كنت يا أبانا راهباً عمَّالاً بكل ما تحويه الكلمة من معانٍ، عمالاً في الفضيلة واقتناء ثمار الروح القدس، وعمَّالاً بالجسد فتتعب من أجل الآخرين في محبة وبذل وتفانٍ غير مبال بكونك أمين الدير (ربيتة) أو خلافه، بل بالحق كنت مقدِّماً لنا مثالاً عملياً لراهب يحيا حياة الاتضاع والخدمة الباذلة، فأنت لا تتعالى على أحد ولا تتجاهل أحداً ولا تُهمّش أحد سواء كان راهباً أو أخاً أو عاملاً. فقد كنت تعمل من أجل كرامة الخدمة ذاتها لا من أجل منصب أو وظيفة أو حباً في الرئاسة. " وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِماً لَكُمْ " (مت ٢٣: ١١).

والجدير بالذكر هو أنه عندما عرض نيافة الأنبا ثاؤفيلس على أبينا تادرس نوال نعمة الكهنوت اعتذر، وذلك لتخوفه من النزول والبعد عن أحضان الدير وبالفعل تخطاه أنبا ثاؤفيلس في الدور إلى أن ألح عليه مرة أخرى، فلبى طلب السماء، ورُسم يوم عيد الصليب ٢٨ / ٩ / ١٩٧٥م مع المتنيح الراهب القمص إيلاريون السرياني، وبعدها أسند إليه أنبا ثاؤفيلس أمانة الدير ورقاه لدرجة القمصية عام ١٩٧٨م.

الربيتة المحبوب (١٩٧٧م – ١٩٨٦م) :

" وَكَانَ مَشْهُوداً لَهُ مِنَ الإِخْوَةِ" (أع ٢٠: ٣٤)

كان أنبا ثاؤفيلس يحب أبانا تادرس ويثق فيه جداً كما سبق وأوضحنا، لذلك أسند له أن يعمل كأمين للدير (ربيتة) ليساعده في تدبير شئون الدير الإدارية واحتياجات الآباء.

مع العلم بأن هذه المسئولية شاقة جداً ومتعبة للغاية وأيضاً حساسة بسبب كثرة الاحتكاكات بها، وكثير من الآباء يعتذرون عنها بعد فترة وجيزة جداً من الخدمة بها لجسامة مسئوليتها، إلا أن أبانا تادرس كان يؤدي عمله على أكمل وجه لابساً صورة المسيح المريح للكل، فكل من كان يقصده في أمر ما كان يهتم به إلى أبعد الحدود ويُريحه ويُخرجه من عنده وهو راض مسرور، لأن العجيب في أبينا تادرس أنه كان يُعطي أكثر مما يسأل الشخص أو يطلب.

لذلك سرعان ما أحبه الآباء لإخلاصه وبذله، وظل على هذا الحال سنوات طويلة يحمل على كاهله ثقل هذه المسئولية غير تارك حياته الداخلية كراهب من سهر وقراءة وهدوء وتأمل، فكان أبونا تادرس " أشبه بمصباح يُشحَن بالليل، لينير لكل من يتعامل معه طوال اليوم ".

لقد كان أبونا تادرس لا يجد أمامه سوى قول معلمنا بولس الرسول: " فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرّاً مِنَ الْجَمِيعِ اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ " (١كو ٩: ١٩).

فكان بالحق رابحاً للنفوس ويجاهد لكي لا يخسر أحداً، ويعمل بمنتهى الجد والنشاط كما شهد الآباء، بدون كلل ولا ملل، ويدرس أي موضوع بكافة جوانبه وتفاصيله الدقيقة، وكانت راحته الشخصية هي آخر شيء يفكر فيه، وكان مبدأه أن يتعب ليرتاح الآخرون، وشعاره هو " كَمَا أَنَا أَيْضاً أُرْضِي الْجَمِيعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ طَالِبٍ مَا يُوافِقُ نَفْسِي بَلِ الْكَثِيرِينَ لِكَيْ يَخْلُصُوا " (١كو ١٠: ٣٣). كما أنه كانت له سياسة واضحة في ألا يحتكر القرار وحده، بل كان متفاهماً مع الجميع فيمكنه - وبكل سهولة - أن يترك مسئوليته لآخر طالما كان جدير بها. لذلك كان يحبه الرهبان حباً جماً، ويستحيل أن يشكو أحداً لرئيس الدير أو يشي بأحد أو ينقل كلاماً بأية صورة كانت؛ فيشهد تاريخه أنه لم يؤذِ أحداً عاملاً بقول العظيم أنبا مكاريوس:

" لا تصنع باحد شراً ولا تدن أحداً احفظ هذين وأنت تخلص ".

ومن المواقف الطريفة أنه في هذه الفترة عينها كان يُشرف على المنحل بالدير [1] وكان لا يسلم من لدغات النحل، وكثيراً ما كان يقابل أحد الرهبان أو الإخوة ويداه ووجهه منتفخان من لدغات النحل فيداعبه الشخص قائلاً: " أنت مين؟! " أما هو فلم يكن يبالي بشيء واضعاً مصلحة الدير والآباء فوق أي اعتبار!

استدعاؤه للخدمة بالعزباوية (١٩٨٦م - ١٩٩٣م):

" لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ " (أع ٢٠: ٢٤)

عقب المرض المفاجئ لنيافة الأنبا ثاؤفيلس أمر باستدعاء أبينا تادرس إلى العزباوية ليحمل أمانة الخدمة هناك عالماً قرب رحيله من هذا العالم الفاني.

وفعلاً وبشكل رسمي هذه المرة استدعى قداسة البابا المتنيح الأنبا شنوده الثالث أبانا تادرس ليأتمنه على تدبير شئون الدير بالعزباوية، وكان ذلك في يوم ١٧ / ١٠ / ١٩٨٦م. حيث أن قداسة البابا شنوده

---

(١) مكان هذا المنحل صار حالياً كنيسة القديس الأنبا بولا أول السواح الملحقة ببيت الخلوة بالدير.

كان المسئول رسمياً عن الدير، ويتابع العمل مع أبينا تادرس في كل ما يخص شئون الدير. أما عن حقيقة هذه الفترة في حياة أبينا تادرس، فقد كانت من أصعب الفترات وذلك بسبب كثرة الضغوط والمسئوليات الملقاة على عاتقه والحق يُقال أن هذه الفترة كانت بداية لدخوله في أمراض القلب وغيرها، بسبب الضغوط الشديدة واتساع مجال الخدمة والعمل هناك.

ولقد حكى أحد الآباء الشيوخ الذي شاهد هذا بنفسه أن العزباوية كانت في ذلك الوقت متهالكة جداً من الناحية المعمارية وبها أجزاء كثيرة آيلة للسقوط، فاستدعى أبونا تادرس الكثير من المهندسين واستشارهم في إجراء عملية ترميم شاملة للمكان، وفعلاً وبكل جهد وتفاني وجرأة بدأ يرمم الأجزاء التالفة ويُعمِّر المكان ككل ونقل العزباوية نقلة كبيرة جداً ويشهد لذلك كل الآباء الذين رأوا العزباوية قبل وبعد عملية التعمير هذه. كما أنه اهتم بالمكان داخلياً كالمقصورة والكنيسة التي كانت أولاً أشبه بمخزن فقط، ولم يترك حتى السلالم والطريق (الحارة) أمام مدخل العزباوية إلا وقام برصفها بالبلاط.

ومن الجدير بالذكر أن البعض اعترض عليه واتهمه بتبذير مال الدير على عمليات التعمير هذه وأن الدير والرهبان في حاجة لها، إلا أن قداسة البابا شنوده بنفسه تصدى لهذه الشكاوى مُبيناً لهم أن كل شيء يقوم به أبونا تادرس يخرج من تحت يديه أولاً ويطَّلع عليه، وكان قداسة البابا يشيد دائماً بدقة أبينا تادرس في الحسابات، وأنه لا يمكن ان تجد وراءه هفوة موصياً الآخرين بأن يكونوا على مثاله في النظام والدقة.

من ناحية أخرى يشهد الآباء الذين تعاملوا مع أبينا الحبيب أنه - في هذه الفترة - لم يكن يبخل على أي راهب يلتقي به في مقر الدير بأي شيء من الاحتياجات الشخصية أو العلاجية، فكان يعطي الكل وبسخاء، ويهتم اهتماماً خاصاً بالآباء الذين هم في الخدمة خارج الدير نظراً لضعف الإمكانيات وقتها ليتمكن الراهب من تغطية مصروفاته وما يحتاج إليه من مواصلات ... إلخ. كانت النواحي المادية ليست لها قيمة عنده بالمرة.

كما أنه من سمات خدمته هناك أنه ركز نظره على الفقراء (إخوة الرب) في هذه المنطقة ومراعاتهم في كافة احتياجاتهم، فلم يسأله أحد وعاد خائباً بل كان يعطي ويعطي بسخاء وبسرور، ليس

هذا فحسب بل كان بحكمته لا يبين أنه يعطف عليهم، بل كان يحاول أن يجعل البركة مقابل عمل بسيط جداً لا يُذكر كي يُشعِر الشخص أنها مقابل عمل مراعاةً لشعوره، بل وأيضاً اهتم بمجاملتهم في مختلف المناسبات عالماً بأن هذا الفقير المهمل هو:

" الأَخُ الضَّعِيفُ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِهِ "

(١كو ٨: ١١).

العودة إلى الدير بعد خدمة شاقة:

بعدما تسلم نيافة الحبر الجليل نيافة الأنبا متاؤس (حفظه الله لنا) رئاسة الدير، ذهب إلى العزباوية يوم الأربعاء ٩ / ٦ / ١٩٩٣م، وإذ بأبينا تادرس تأهب لعودته إلى الدير، كي يرجع إلى البرية التي حُرم منها سنوات طويلة وبالفعل عاد إلى ديره يوم ١٠ / ٦ / ١٩٩٣م عقب حضور سيدنا. وكأن لسان حاله يقول: " لَيْتَ لِي جَنَاحاً كَالْحَمَامَةِ فَأَطِيرَ وَأَسْتَرِيحَ! هَئَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِباً وَأَبِيتُ فِي الْبَرِّيَّةِ " (مز ٥٥: ٦، ٧). " نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن نجونا " (مز ١٢٣: ٥، ٦ قبطي)

راهب قلاية من الطراز الفريد:

من المتعارف عليه أن الراهب إذا خرج للخدمة خصوصاً فترة طويلة كهذه التي قضاها أبونا تادرس فإنه يحتاج إلى فترة من الوقت ليتأقلم مع جو الدير ثانية، ويُفرغ عقله من المشغولية والتذكارات، ثم يعود شيئاً فشيئاً إلى صفائه وسكونه؛ إلا أن أبانا تادرس كان يحيا كراهب وسط كل هذه المشغوليات ووسط أجواء الخدمة في العزباوية، فلم تكن تجده أبداً يذهب لزيارات هنا أو يزور الكنائس ليصلي القداسات أو لحضور الاجتماعات، أو حتى يذهب لزيارة أسرته فقد كان راهباً عجيباً قضى كل فترة خدمته التي تقترب من ٧ سنوات في مقر الدير وكأنه يحمل قلايته في داخل قلبه أينما توجه، لذلك فبعد رجوعه إلى الدير عاد وبكل سرعة إلى هدوء وسكون القلاية وحياة القراءة والبحث والتأمل والصلاة والشبع بالخلوة مع ربنا يسوع المسيح وكانت لهذه الفترة ثمار متعددة كما سنشرح فيما بعد.

ومن العجيب أنه على الرغم من طول فترة الخدمة حوالي ١٠ سنوات كأمين للدير و٧ سنوات بالعزباوية ومع الكم الهائل من المسئوليات سواء في التعامل مع المسئولين في الكنيسة أو الدولة والعلمانيين إلا انه لم تكن له دالة مع أحد، ولم يكن يسرع إلى

مقابلة أحد الزوار، بل وحتى آباء الدير فلم يكن يره الكثيرون إلا في الأعياد ويوم قداسه (دوره في صلاة القداس الإلهي)، وأعطى الجميع مثالاً لراهب قلاية من الطراز الفريد عاملاً بما جاء في كتب الآباء:

" إن من يحب السكون ينجو من سهام العدو، أما الذي يحب الجماعات فإنه يُصاب بجراحات كثيرة. " (أحد الآباء الشيوخ)

" الخُلطة مع العلمانيين تُرخي التائب وتبرد حرارته والفرار منهم ينشطنا إلى كل عمل روحاني. " (أنبا إشعياء الإسقيطي).

وكان كثيراً ما يقول لمن يسأله عن كلمة منفعة:

" فقط اثبت في الدير ولا تخرج منه. "

وحتى ذهابه لمضيفة الدير كان نادراً جداً جداً، وذلك في حالة حضور أسرته من الدرجة الأولى كأخيه أو أخته مثلاً.

وحكى لي أحد الآباء أنه وجد أبانا تادرس متجهاً نحو المضيفة فسأله: " إلى أين تذهب يا أبي؟ " فأعلمه أن أخته بالجسد أتت لزيارته، وبالصدفة وجد هذا الأب أبانا تادرس عائداً لقلايته بعد وقت قليل لا يتعدى الساعة فقال له: " هل بهذه السرعة جلست معهم؟ " فأجابه أبونا تادرس ببساطته المعهودة: " خلاص سلمت عليهم وأعطيتهم صور بالحنوط ثم انصرفوا ".

حقاً يا أبي إن سألنا عن أسباب هذا الالتزام الرهباني فلا نجد وراءه إلا سبب واحد هو أنه لم يكن لديك وقت لتضيعه هنا وهناك عاملاً بقول الكتاب:

" مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ " (أف ٥: ١٦).

بعض من الفضائل البارزة في حياته:

١ - فضيلة العطاء:

" النَّفْسُ السَّخِيَّةُ تُسَمَّنُ وَالْمُرْوِي هُوَ أَيْضاً يُرْوَى " (أم ١١: ٢٥)

لم يُرَ أحد محتاج يطرق باب أبينا المحبوب إلا ويأخذ كل احتياجه وأزيد، ولكثير من الآباء والعمال مواقف مع أبينا تادرس بخصوص هذا الأمر.

فكان أبونا تادرس يستدعي الأب المسئول عن العمال ويعطيه بركات مادية للعمال، كما أنه كان يجهِّز لكل عامل قطعة من القماش له وقطعة لزوجته أو لوالدته أيضاً ليفصلّها على العيد.

كما أنه إذا وجد راهباً محتاجاً لأي مساعدة خصوصاً من كان فيهم مريضاً إلا ويرسل له مظروفاً وعندما يفتحه الأب يجد فيه مبلغاً يكفي احتياجه ويزيد.

وحكى أحد الآباء من شيوخ الدير المباركين عن موقف له مع أبينا تادرس إذ قال: " احتجت في قلايتي إلى شيء هام وهو أنبوبة بوتاجاز، ولم يكن معي ما يكفي لشرائها فكان معي أقل من نصف المبلغ ولم أتجرأ وأذهب حتى لأب اعترافي آنذاك لكي أخبره باحتياجي، بل ذهبت إلى أبينا تادرس ولم أخجل منه لحنيته ومحبته، فأعطاني ما يكفي ويزيد عاملاً بقول الكتاب:

" مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ " (متى ٥: ٤٢).

وقد حكى أب آخر أنه أثناء فترة مرضه زاره شخص ما وجلس معه ليأخذ بركته، وإذا به يخرج مرتبكاً فسأله هذا الأب عن السبب فأعلمه أن أبانا تادرس أعطاه مظروفاً وعندما فتحه وجد فيه مبلغاً كبيراً حوالي ثلاثة آلاف جنيه، فاستغرب الأب لهذا الأمر وقال له: " هذا من نصيبك ". وإذ أبونا يجد الشخص يفيق إلى نفسه ويكشف عن المفاجأة إذ أنه عليه ديون تُقدَّر ب ٣٠٠٠ جنيه فعلاً!!

حقاً إن من يصل إلى النقاوة كأبينا يتمكن من الشعور والإحساس بظروف الآخرين ومساعدتهم.

كل هذا بالإضافة إلى أن أبانا تادرس كان فاتحاً قلايته للآباء ليستقبل الكل بكل محبة وكرم وكل راهب يدخل قلايته لابد وأن يشعر شعوراً حقيقياً أنه في قلايته تماماً.

٢ - حكمته وإفرازه:

" رَابِحُ النُّفُوسِ حَكِيمٌ " (أم ١١: ٣٠)

لم يكن أبونا تادرس يحب التصادمات والخلافات، لذلك كان يسعى بكل حكمة أن يربح الكل ويربح الكل.

ومن المواقف الطريفة التي تبين لنا جانب الحكمة والإفراز عند أبينا أنه ذات يوم أمره نيافة الأنبا ثاؤفيلس (عندما كان أبونا تادرس أميناً للدير) بأن يغلق بوابة الدير المشتركة بين دير السريان ودير الأنبا بيشوي وذلك في الوقت الذي كانت فيه هذه البوابة معبراً لكثير من المسئولين والآباء، وكان عليه أن يتركها مفتوحة لهم.

فوضع بين حجري الرحى فإذا أغلق الباب كأمر أنبا ثاؤفيلس خسر المسئولين والآباء ووضع نفسه محل مشاكل وخلافات لا تنتهي، وإذا فتحه وضع نفسه في موضع خلاف مع رئيس الدير مخالفاً مبدأ الطاعة.

فماذا فعل أبونا الحبيب ليخرج من هذا المطب؟

لقد ذهب ووضع القفل على البوابة، ولكنه تركه مفتوحاً!!

وبهذا الحل لم يخسر كلا الطرفين، فإذا سأله أنبا ثاؤفيلس " هل أغلقت الباب " يقول له: " يا سيدنا لقد وضعت القفل على الباب "، وإذا أراد أن يدخل أحد المسئولين أو الآباء يتمكن من ذلك لأن القفل كان مفتوحاً!!!

٣ - الصمت وبعده عن الإدانة:

" قُلْتُ أَتَحَفَّظُ لِسَبِيلِي مِنَ الْخَطَأِ بِلِسَانِي. أَحْفَظُ لِفَمِي كِمَامَةً " (مز ٣٩: ١).

من أبرز الفضائل التي تجلت بوضوح في أبينا تادرس هي حبه للصمت وبعده عن الإدانة والنميمة بكل صورها، فإذا جلست معه كان غالباً لا يتكلم إلا إذا بدأت معه حواراً – على الرغم من مخزونه الكبير من القراءة والمعرفة – وكان يتكلم باختصار على قدر السؤال فقط، وليس هذا غريباً عن من أحب تعاليم القديس مار إسحاق السرياني ونسخها كما سنعلم فيما بعد وتدرّب على ما تحويه من فضائل فتعلّم منها ما قاله مار إسحاق:

" امسك لسانك بالسكوت ليتحرك قلبك بمحبة الله. "

وما قاله القديس مار أفرام السرياني:

" الذي يُكثر كلامه، يُكثر خصوماً وبُغضاً لنفسه ومن يحفظ فمه يُحَب، إن أحببت الصمت ستقطع سير سفينتك بسكوت. "

وكانت له نصيحة ذهبية في من يسأله كيف أتخلص من فكر الإدانة؟ فكان يقول: " إذا أتاك فكر إدانة من جهة شخص ما فقم بسرعة وصلِّ لأجله وقل بصلوات (فلان) يارب اغفر لي خطاياي ".

وبتكرار الصلاة بحرارة سوف يهدأ الفكر.

كما أن أبانا لم يكن أبداً يجاري أحداً إذا تطرَّق في حديثه لمسك سيرة آخر وتكلم عليه بالإيجاب أو بالسلب، وكان يخرج من الموقف بطريقة مرحة وجميلة دون أن يشترك في الإدانة أو يُحرج محدثه قائلاً له مبتسماً: (سبحان الله !!)، فيفهم الشخص ضمناً أن أبانا لا يجاريه في مثل هذه الأمور، لأنه لا يهمه سماع أخبار أحد عاملاً بما قاله القديس مار إسحاق السرياني:

" إن الذي يطلق لسانه على الناس بالجيد أو الرديء لا يؤهل لنعمة الله. "

وأن " كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَاباً يَوْمَ الدِّينِ " (متى ١٢: ٣٦).

حتى أنه في خروجه مع بعض الآباء للتمشية في الجبل ليلاً (في الليالي القمرية) كانوا يمشون صامتين ليصلي كل واحد منهم مزاميره وصلواته الخاصة، ثم عندما يصلون إلى نهاية المطاف (كثيراً ما كانت المغارة التي عاش فيها قداسة البابا شنوده الثالث أيام وحدته في الدير) يجلسون للاستراحة قليلاً، ثم يعودون متجهين إلى الدير متحدثين بعظائم الله.

٤ - بشاشته ووداعته [1]:

قال القديس مار إسحاق:

" إن الذي يلتقي بالناس يلزمه أن يكون باشاً بوجهه أما بقلبه فليتنهد. "

من أكثر ما يميز أبونا تادرس هي ابتسامته الطفولية والتي كانت لا تفارق وجهه حتى نياحته، فلا يمكن أن ترى وجهه معبساً بل يقابلك بمنتهى البشاشة والترحاب، حتى أنه في نزوله إلى الكنيسة يوم دوره في صلاة القداس الإلهي كان يُسلِّم على الآباء بيديه الاثنتان بكل حرارة ووجهه يشع بالفرح والسعادة، وإن دل ذلك على شيء فإنه

(١) اللطف والوداعة من ثمار الروح القدس (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣).

يدل على تعزيته الداخلية التي كانت تفيض على الخارج، فينطبق عليه ما كتبه المتنيح قداسة البابا شنوده الثالث:

" إن الإنسان المملوء بالرجاء، دائماً توجد في قلبه بشارة مفرحة، فالرجاء والسلام الذي في قلبه ينقله تلقائياً إلى الناس والفرح الذي في قلبه والذي يظهر في ملامحه تلقائياً ينتقل أيضاً إلى غيره ".

وكانت لقاءاته مفرحة حيث يقدم بنبرته المعتادة التحية للشخص بعبارته المملوءة تعزية " سلام لك ونعمة ".

والحق يقال إن كل من تعامل مع أبينا عن قرب حتى وفي أصعب فترات مرضه (كما سنستطرد فيما بعد) كان يجده مبتسماً وملامحه دائماً هادئة.

كانت فضيلة الوداعة متأصلة داخله ولا يمكن أن يزعزعها شيء فكما قال القديس يوحنا الدرجي:

" إن الوداعة حالة راسخة للنفس تبقى فيها غير متاصلة سواء بالخبر الطيب أم بالخبر الرديء، سواء بالإهانات أم بالكرامات ".

ومن الفضائل العجيبة النادرة في أبينا المحبوب أنه بعد انتهاء اللقاءات – مهما طالت – كان يعود بسهولة جداً إلى حالة السكون

والهدوء وبدون تشتت في الذهن وكأنه لم يسمع أو يرى أو يتكلم بأي شيء!!

وحتى إن حدث شيء يمكن أن يُعكر الصفو كان أبونا يرجع بسرعة لحالة السلام التي كان يحياها.

فحكى أحد الآباء أنه ذات يوم أجرى مكالمة تليفونية مع أب آخر، ويبدو أن إيقاع الصوت كان عالياً، وأبونا كان مشدوداً لسبب ما، وانتهت المشكلة بهذه الصورة، ثم بعدما انتهت المكالمة لمدة لا تزيد عن ٥ دقائق عاود أبونا الحبيب الاتصال بأبينا مُحدثه واعتذر له عما حدث، وسرعان ما عادت ابتسامته إليه! حقاً فقد كان لا يعرف طريقاً للتصادمات والخلافات، عاش كما قال الكتاب:

" إِنْ كَانَ مُمْكِناً فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ "

(رو ١٢: ١٨).

٥ - أب اعتراف مُريح:

منذ بداية عمل أبينا تادرس كربيتة كان غالباً ما يعتذر عن أخذ الاعترافات، وظل الأمر هكذا حتى نياحة **أبينا القمص متاؤس السرياني**، فاضطر تحت إلحاح بعض الآباء لقبول اعترافاتهم. ونظراً لما جمعه أبونا تادرس من فضائل كثيرة خلال سني حياته فقد أهلَّه ذلك

ليكون بالحقيقة أب اعتراف ناجحاً قادراً أن يبرئ أسقام النفس ويداويها، فكان أب اعتراف لكثير من الرهبان وبعض الراهبات، فلم يأته أحد متعباً إلا وخرج من عنده مرتاحاً ولم يأته يائس إلا وبث في قلبه الأمل والرجاء وأشعره بحنان الله ورحمته فينتعش الشخص مرة أخرى وكانت له في هذا عبارة بسيطة لكن كان لها أثر في نفوس المعترفين وهي أنه حينما يأتيه أحد بخطية أو ضيق معين أو حرب من أي نوع كان يبادره بعبارة: " **ده شيء طبيعي** " كي يُريحه أولاً ثم يضعه على الطريق السليم ويرشده ويعلّمه بما استقاه من الخبرات الرهبانية طيلة حياته وبما قرأه في أمهات كتب الرهبنة.

ومن الجدير بالذكر أن نيافة الحبر جزيل الاحترام الأنبا متاؤس رئيس الدير (أدام الله حياته) اتخذه كأب اعتراف له نظراً لتقواه وقداسته إلى يوم نياحته.

٦ - أبونا تادرس القارئ والباحث:

كان أبونا القمص تادرس منذ شبابه يحب القراءة واقتناء الكتب، وكان يبحث عن الكتب القديمة في المكتبات ويقتنيها لذلك كوَّن مكتبة قيمة جداً تحوي مئات الكتب في مختلف المجالات، وحتى بعد مجيئه إلى الرهبنة استمر في هذا الأمر يجمع

ويقتني أمهات الكتب (وخاصة النسكية) إلى أن أصبحت مكتبته من أكبر المكتبات إذ تحتوي على كتب وموسوعات ودوائر معارف في شتى أنواع العلوم والأدب وكان يماثل في حبه لاقتناء الكتب المتنيح القمص بيمن السرياني، وكان هدف أبينا تادرس من وراء هذا منفعته الشخصية أولاً ليبحث ويغوص في أعماق الكتب (خاصة النسكية) ويستفيد منها، وأيضاً لكي ينتفع آخرين منها فكان يسمح بأن يستعير الآباء منه كتباً ويشجعهم على هذا.

والحق يُقال أن كلاً من أبينا المتنيح القمص بيمن السرياني وأبينا المتنيح القمص تادرس السرياني أثرى مكتبة الاستعارة بالدير بكم هائل من الكتب، والتي سينتفع بها آباء الدير جيلاً بعد جيل.

أما عن حب أبينا تادرس للقراءة فمراراً ما كان يحكي أنه بعد الغروب لا يخرج من القلاية، بل يُكرس كل الوقت للقراءة والبحث والنسخ، فقال: إني كنت أنسخ ميامر مار إسحاق على اللمبة الجاز، وكانت كقانون روحي بالنسبة لي.

ثم بدأ أبونا تادرس يُنسِّق هذه الميامر إلى أن أخرجها بصورة كتاب تسهل قراءته، وما فعله مع ميامر مار إسحاق فعله كذلك مع ميامر الشيخ الروحاني (القديس يوحنا سابا) إلى أن أخرجها أيضاً في

صورة كتاب تسهل قراءته. كما أنه نسخ كتباً أخرى مثل ميامر مار أوغريس وسير الآباء السواح وكتاب الأربعين خبر، وسيرة القديس باخوميوس (وقد نشرها الدير).

وكان أبونا تادرس في سنوات رهبنته الأولى كثير التردد على مكتبة الاستعارة بالدير فكان يذهب مرتين أو مرة على الأقل في الأسبوع وكان الأب المسئول عن المكتبة وقتها هو أبونا جورجيوس السرياني (نيافة الأنبا هدرا مطران أسوان - أطال الله حياته وحفظه لنا)، وكان يُعيره الكتب التي يرغب في الإطلاع عليها ونسخها.

بالإضافة إلى إعداده مجموعة كتب " المتابعة اليومية للقراءات الكنسية " وهي عبارة عن ١٢ كتاب تحوي قراءات الكنيسة على مدار العام وتجمع كلاً من القطمارس السنوي (أيام وآحاد) وقطمارس الصوم الكبير (أيام وآحاد) وقطمارس الخماسين المقدسة (أيام وآحاد) بالإضافة إلى أنها تعرض السنكسار اليومي.

وكما علمنا، فمن خلال محبة أبينا تادرس لفضيلة العطاء كان يهدي هذه المجموعة كاملة لكل أخ جديد فور قبوله في الدير، ليتمكن من متابعة القراءات اليومية وسنكسار اليوم طوال أيام السنة

وفي مختلف المناسبات. والذي اطلع على مكتبة أبينا تادرس عن قرب تجد فيها عشرات الكراسات والكشاكيل التي كان يستخدمها كمسودات ليرتب فيها قراءات شهور السنة التوتية بخط يده، بالإضافة إلى أجندات أخرى مُلخص فيها تاريخ الكنيسة في كل قرن.

والحق يُقال أنه كان يبذل جهداً شاقاً لإخراج هذه الكتب للنور ليستفيد منها الجميع في الدير والكنيسة ككل.

وتتعجب من أبينا تادرس كل العجب عندما تجده حتى بعد مرضه لم ينقطع عن محبته للقراءة، والسعي لشراء الكتب وتصفحها إلى أن ضعفت تدريجياً بثقل المرض.

ملحوظة هامة:

من المعروف رهبانياً أن طقس الراهب وخاصة راهب القلاية يشمل أساساً قراءة الكتاب المقدس والكتب النسكية التي تختص بمنهج حياته، أما القراءة في المجالات الأخرى فهي لا تناسبه لأنها – بحسب قول مار إسحاق – تشتت ذهنه وتبعده عن حياة الصلاة الدائمة التي هي عمله الأساسي. فكان أبونا تادرس (وكذلك أبونا بيمن) يركز أساساً على قراءة ودراسة ونسخ الكتب النسكية، أما النوعيات

الأخرى فقد كان يلجأ إليها نادراً لكسر الملل والضجر كشيء من التنويع.

٧ - الراهب الزاهد:

" جلست فوق قمة العالم عندما صرت لا أخاف شيئاً ولا أشتهي شيئاً " (القديس أغسطينوس)

بالحقيقة إن من عايش أبانا تادرس عن قرب يجد فيه أقوى مثال للراهب الذي يزهد هذه الحياة بكل شهواتها ورغباتها، وقد تجلت هذه الفضيلة بشكل منقطع النظير خصوصاً في آخر سنوات أبينا تادرس على الأرض، فكان يعيش في العالم ولكن لم يكن العالم يعيش فيه كقول الكتاب:

" والَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ. لأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ " (١كو ٧: ٣١).

لقد أصبح العالم بكل شهواته ومغرياته ليست له أية مكانة في قلب أبينا تادرس بل استحوذ الله على كل القلب، لذلك نسى كل شيء في محبة المسيح فاستحق الطوبى من الشيخ الروحاني الذي قال:

" طوبى للذي نسى أحاديث العالم بحديثه معك لأن كل حاجاته تكمل له منك، أنت هو أكله وشربه، أنت هو فرحه وسروره، أنت هو

غطاؤه، وبمجدك تكتسي عريته. أنت هو بيته ومسكن نياحته، وإليك يدخل كل حين ليستتر، أنت هو شمسه ونهاره وبنورك يرى الخفيات ".

والحق أقول في المسيح ولا أكذب أن من رافق أبانا تادرس في سنواته الأخيرة عن قرب يعلم تماماً أن أبانا قد وصل لأعلى مستويات إماتة الذات، فقد كان زاهداً في كل شيء في ملبسه، ومأكله، وحتى في نومه. فعلى الرغم من سعة قلايته إلا أنه أحكم بلكونة القلاية التي مساحتها لا تتعدى (٢٧٥ سم طول X ٢ متر عرض) وفيها مواسير الصرف ووضع فيها مرقده وعاش فيها سنوات ليعطي مثالاً فريداً للراهب الذي يضيق على ذاته وظل بها حتى تنيح بسلام. أما عن مأكله فكان بسيطاً للغاية، وكان من الملفت جداً في أبينا أنه كان يصوم لفترات طويلة، وغالبية حياته كان يأكل وجبة واحدة في اليوم، أو اثنين على الأكثر، وحتى في أثناء مرضه ورقاده كطريح فراش ظل على نفس نظامه من ناحية الطعام وصومه لفترات طويلة وكان بالكاد والتحايل الكثير يأكل أكلاً بسيطاً جداً ويستحيل أن يُعلّق على نوع الطعام أو كفاءته فيأكل مما يقدم له صامتاً، لا يتحدث على الأكل أبداً، ويشكر بلا تذمر. وإذا حدث وتحيّر من يعد

له الطعام وسأله: " ماذا تريد يا أبونا تادرس أن أعد لك اليوم من طعام؟ ".

كان يبادره برده البسيط جداً المعتاد " فول وطعمية طبعاً " في أي وقت من أوقات السنة! وشهد بذلك القريبون من أبينا تادرس أنه كان يميل إلى الأكل النباتي منذ بداية حياته الرهبانية إلى نياحته. فالحق يقال يا أبانا أن نفسك كانت شبعانة بالمسيح وكقول الحكيم: " اَلنَّفْسُ الشَّبْعَانَةُ تَدُوسُ الْعَسَلَ " (أم ٢٧ : ٧).

حدث غريب:

لقد حكى أبونا تادرس بمنتهى التحفظ أمراً غريباً حدث له حتى أنه قال بلسانه إني لم أفصح عن هذا الأمر إلا مرة أو مرتين في حياتي كلها. وهو أنه أثناء فترة تجهيز القلاية ذات يوم كان الجو حاراً والقلاية أيضاً بها كراكيب كثيرة وغير مرتبة، فأخذ مرقده ودخل لينام في مكان كان قد أعده ليكون مذبحاً للقديس يوحنا المعمدان في قلايته وكان به لوح مقدس وجاهز للصلاة (ولكنه لم يقم عليه قداسات طيلة حياته)، وكان ذلك انطلاقاً من حبه الشديد للقديس

يوحنا المعمدان [1] وانشغاله بسيرته وكل ما يصدر عنه من كتب حيث أنه كان شفيعه بعد العذراء مريم على حد قول أبينا، والمهم أنه بعدما استغرق في النوم إذ به يرى شخصاً يأتي ويحمله هو ومرقده خارج المذبح قائلاً له: " مش دي كنيسة مش ده مذبح إزاي تنام فيه؟! "

ويعلق أبونا وبمنتهى البساطة والبراءة بعدما حكى هذه القصة قائلاً: مع إني لا أوافق على أمثال هذه الأشياء ولكن هذا هو بالضبط ما حدث.

٨ - احترامه الملحوظ للمسئولين:

من أعجب ما لاحظناه في أبينا تادرس هو أنه كان يخدم المسئولين بشكل كبير جداً حتى في فترة مرضه الأخيرة كان دائم السؤال عن نيافة الأنبا متاؤس بشكل شبه يومي فمثلاً يقول: (هو سيدنا اللي صلى القداس اليوم؟ هو سيدنا حضر الغروب؟ هو سيدنا في الدير أم سافر؟) فكان يحب سيدنا حباً جماً، وعندما يداعبه

(١) حيث أن القديس يوحنا المعمدان يعتبر صورة رائعة للرهبنة من شخصيات الكتاب المقدس (بعد إيليا النبي) من خلال سكنى البرية والتجرد الكامل، والزهد والنسك، والشركة الحقيقية مع الله، وكذلك قوة الشهادة للحق حتى الموت. بركة شفاعته تكون معنا.

الآباء بمرح كان يقول لهم " ده أبويا ولازم أسأل عليه "، وكان كذلك سيدنا أنبا متاؤس يزوره للاطمئنان على صحته من وقت لآخر.

كما أنه كان يحترم " أبونا الربيتة " - كما شاهدنا - احتراماً شديداً، فعندما كان يأتي للاطمئنان على صحته أو لترتيب نزوله للمستشفى للعلاج كان وهو في قمة آلامه (الله يشهد) عندما يدخل أبونا الربيتة يقابله بابتسامة بعبارته المعهودة: " أهلاً سلام لك ونعمة "، ونكون كلنا متوقعين أنه فور وصول أبونا يبدأ يشكو له آلام المرض، ولكن كان هذا غير الواقع لأنه كان يقول له: " أنا بخير ما فيش حاجة " مقدماً لنا مثالاً في احتمال الآلام والشكر وعدم الشكوى أو التذمر وكانت ملامحه الباشة لا تتغير!!

ومن هذه المواقف التي تدل على احترام أبونا للمسئولين أنه حضر ذات يوم نيافة المطران الأنبا باخوميوس ونيافة الأسقف الأنبا صرابامون رئيس دير الأنبا بيشوي (وأب اعتراف أبونا) للاطمئنان على صحة نيافة الأنبا متاؤس، ورغبوا أن يطمئنوا أيضاً على صحة أبينا تادرس، وعندما أبلغنا أبانا تادرس برغبتهم في زيارته رفض رفضاً تاماً أن يأتوا هم له في حجرته بل هو الذي يخرج لهم على الرغم

من كونه طريح الفراش! وبالفعل وضعناه على كرسيه المتحرك حسب رغبته وخرج للقائهم، وقابلهم بابتسامته وبشاشته المعهودة. أترى يوجد مثال أعظم من هذا في الاحترام والأدب الرهباني؛ راهب شيخ مريض وليس عليه حرج إن هم أتوا وزاروه، ولكنه يرفض باتضاع على الرغم من عدم مقدرته على الحركة!!

٩ – احتماله آلام المرض:

" كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي آلاَمِ الْمَسِيحِ افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلاَنِ مَجْدِهِ أَيْضاً مُبْتَهِجِينَ " (١بط ٤ : ١٣)

كما ذكرنا سلفاً، إن الأمراض تواترت على أبينا تادرس - بالتحديد بعد فترة الخدمة بالعزباوية - فأجرى العديد من العمليات الجراحية الخطيرة محتملاً صليب المرض بمنتهى الشكر والتسليم، وكان في بداية مرضه يتعب مراراً، ويضغط على نفسه بشكل قاسٍ، وبصعوبة - بعد أن يلح عليه الآباء - كان يستجيب للنزول معهم للمستشفى بالقاهرة بعد رفض شديد أولاً، وبمجرد نزوله إلى المستشفى كان يطلب أن يرجع إلى الدير في نفس اليوم أو ثاني يوم تقريباً، فما كان يطيق أن يقضي ليلة واحدة خارج قلايته.

أما عن قصة المرض فباختصار ابتدأت بارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين ثم قصور بالشريان التاجي وجلطة في القلب فاستدعى ذلك عمل قسطرة استكشافية للقلب فكشفت عن انسداد بالشرايين التاجية، فتطلب ذلك عملية بالقلب، وبالفعل أُجريت له بمستشفى دار الفؤاد في يوم ٢٤ / ١٢ / ٢٠٠٠م ثم تحسنت صحة أبينا تادرس إلى حين ثم عانى مرة أخرى من قصور الدورة الدموية بالشرايين التاجية مما تطلب عمل قسطرة للقلب مرة أخرى، وبعدها مباشرة أصيب بجلطة مفاجئة في المخ مما تسبب في حدوث شلل نصفي عانى منه سنوات، ثم تحسن تحسناً طفيفاً بالعلاج الطبيعي، تبع ذلك معاناة أخرى نتيجة تصلب في شرايين الرقبة والتي تحمل بدورها الدم إلى المخ مما كان يسبب له نوبات إغماءات كثيرة، وفي إحداها سقط في حمام قلايته منطرحاً على الأرض مما تسبب في كسر بعظمة الفخذ الأيمن، وتطلب ذلك إجراء عملية تغيير مفصل، ولكن هذه المرة كان التحسن بالعلاج الطبيعي طفيفاً جداً جداً، وتسبب ذلك في بقائه طريح الفراش إلى يوم نياحته.

كل هذا بالإضافة إلى عمليات أجراها في عينه، وعملية استئصال المرارة .. إلخ.

لقد كنا ننظر لأبينا أثناء رقاده على فراش المرض في عجب ونقول في أنفسنا: أمعقول أن ينطرح هكذا هذا الجسد الذي ملأ الدنيا بالخدمة والبذل والتفاني؟!

ولم نجد إجابة سوى أن:

" وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْماً فَيَوْماً " (٢كو ٤: ١٦).

وكان لسان حال أبينا تادرس يقول مع بولس الرسول:

" مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ " (رو ٨: ٣٥ – ٣٦).

" فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ .. لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ " (٢كو ١٢: ٩، ١٠).

ويقول أيضاً مع القديس أغسطينوس: **" كلما ازداد عدد آلامي ازدادت رحمتك يارب حلاوة ".**

لقد صدق قول أحد الآباء: " إن الآلام المبرحة التي عاناها أبونا تادرس أثناء فترة مرضه الأخيرة كانت كفيلة بأن تحوله من قديس إلى شهيد ".

وقد شهد كل الآباء الذين زاروا أبانا تادرس أثناء فترة مرضه الأخيرة قائلين إن أبانا تادرس هو ينبوع للتعزية، فهو يتعزى من المسيح مباشرة كما يتمكن من أن يعزي آخرين كما قال الرسول بولس:

" الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ بِهَا مِنَ اللهِ " (٢كو ١: ٤).

١٠ - مواظبته على التناول من الأسرار المقدسة:

" الذين ياكلون خبز الحياة لا يموتون أبداً، بل سكروا بمحبته ونسوا جميع قناياهم، يُضربون ولا يتالمون، لا ياكلون ولكنهم لا يجوعون، لا يشربون ولكنهم لا يعطشون، يشقون ولكنهم لا يتعبون، يبكون وهم يفرحون، يموتون وهم بشوشون، لأن وجه ربهم يريهم الحياة المستترة في الموت ".

الشيخ الروحاني

عاش أبونا تادرس طيلة حياته مواظباً على سر الإفخارستيا فكان يتناول من الأسرار المقدسة أسبوعياً كل أحد حتى في أثناء فترة مرضه حيث يأتي إليه أحد الآباء بجسد الرب ودمه فيتناول ويشع وجهه بالفرح والسلام والتعزية، بل أحياناً كان يطلب من مرافقيه أن يتناول في وسط الأسبوع من الأسرار المقدسة فكانوا يستجيبون لطلبه، وكل من يتعامل مع أبينا في هذا اليوم يلاحظ عليه أنه يوم غير عادي بالنسبة له فيشعر أن أبانا في سلام وعجيب، وكثيراً ما كان يمتنع عن الطعام في هذا اليوم، وإن أكل فبإلحاح شديد جداً.

النياحة والدفن

" أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي " (أع ٧: ٥٩)

عندما تأزمت حالة أبينا تادرس المرضية استدعى الأمر أن ينزل المستشفى للعلاج وبالفعل نزل ليلة عيد الغطاس (١٨ / ١ / ٢٠١٤م) إلى مستشفى فيكتوريا بالإسكندرية، وكانت الحالة غير مستقرة بالمرة وفي تدهور ملحوظ، ودخل على الفور حجرة العناية المركزة ووضع على جهاز التنفس الصناعي.

وفي أيامه الأخيرة وقرب موعد نياحته حدث أن الأب المرافق قال له: " أنا وأنت خلاص قرّبنا نرجع الدير ". فأشار أبونا تادرس بيده نحو

السماء مظهراً له أن ساعته قد جاءت، وأكد أبونا تادرس ذلك للأب المرافق لقدسه عندما أشار له بكف يده وإصبعه، ولكنه لم يفهم أبونا ما كان يقصده في بادئ الأمر، إلى أن علم أخيراً أنه يسأله عن بطاقته الشخصية، فأعلمه أبونا أنها معه وأخرجها له من جيبه. فتثبت بهذين الأمرين لدى الأب المرافق لقدسه أن ساعته قد حانت ليسافر إلى وطنه السماوي.

وبالفعل بعد ساعات من هذا الأمر تنيح أبونا القمص تادرس السرياني عن عمر يناهز ٧٠ عاماً قضى منها ما يقرب من إحدى وأربعين سنة في جهاد الرهبنة، وكان ذلك في يوم السبت ١ / ٣ / ٢٠١٤م وانطلقت روحه الطاهرة لتستقر في أحضان آبائنا القديسين إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

" أجسامهم تُدفن بسلام لكن أسماءهم تحيا مدي الأجيال "
(سيراخ ٤٤: ١٤)

بعد حضور الجثمان الطاهر من المستشفى بالإسكندرية إلى الدير في تمام الساعة الثانية ظهر يوم السبت الموافق ١ / ٣ / ٢٠١٤م قام بالصلاة على الجثمان نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس أسقف ورئيس الدير، واشترك معه في الصلاة نيافة الأنبا صرابامون أسقف

ورئيس دير الأنبا بيشوي، والأنبا ثاؤفيلس أسقف إيبارشية البحر الأحمر، والأنبا إيبفانيوس أسقف ورئيس دير أنبا مقار، ومجمع رهبان الدير، وبعض الرهبان من أديرة أخرى، ثم دُفن بطافوس الدير.

نطلب نياحاً لروحك الطاهرة، فأنت لم تمت يا أبانا بل أنت حي في قلوبنا بأعمالك الصالحة وفضائلك العظيمة لأن " ذكرى الصديق تدوم إلى الأبد " (مز ١١٢: ٦).

أطلب من الرب يسوع المسيح الذي أحببته وقدمت حياتك بجملتها له أن يعيننا كما أعانك لنكمل أيام غربتنا على الأرض بسلام، ويكون لنا نصيب معك عن يمين المسيح ونسمع الصوت المفرح:

" تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ " (متى ٢٥: ٣٤)